ميـزان القـوى

شهدت الحقب الأخيرة تغييرات هامة فى ميزان القوى الدينية فى الولايات المتحدة. لقد وصلت إلى الذروة عضوية الكنائس الليبرالية ذات الهيمنة البروتستانتية التاريخية فى الستينيات من القرن الماضى، ومنذ ذلك الحين انخفضت بشدة عضوية الطوائف الرئيسية برغم ازدياد عدد المسيحيين الأمريكيين. وبالرجوع إلى ما نشرته «المسيحية اليوم» فإنه منذ عام ١٩٦٠ وحتى ٢٠٠٣م. زاد التناقص فى أعداد أعضاء الطوائف الرئيسية على ٢٤٪، أى نقصت من ٢٩ مليون إلى ٢٢ مليون عضو، وصاحب هذا هبوط أكثر درامية فى حصتهم بين الأمريكيين. فى عام ١٩٦٠م، كان أكثر من ٢٥٪ من كل أعضاء الجماعات الدينية فى الولايات المتحدة ينتمون إلى سبع طوائف بروتستانتية أساسية، وفى عام ٢٠٠٣م، هبط هذا الرقم إلى ١٥٪. وصدر تقرير عن مركز بيو للأبحاث يفيد أن ٥٩٪ من البروتستانت الأمريكيين فى عام ١٩٨٨م عرّفوا أنفسهم بانتمائهم إلى الخط البروتستانتى الرئيسى، لكن فى عام ٢٠٠٢/ ٢٠٠٣م هبطت هذه النسبة المئوية إلى ٤٦٪، وفى الفترة ذاتها ارتفعت النسبة المئوية من البروتستانت الذين عرّفوا أنفسهم بأنهم إيڤانجليكيون من ٤١٪ إلى ٥٤٪.

فى عام ١٩٦٥م، وصل عدد البروتستانت الأسقفيين إلى ٣,٦ ملايين نسمة، أى ١,٩٪ من إجمالى عدد السكان. وبمجىء عام ٢٠٠٥م هبط هذا الرقم إلى ٢,٣ مليون فقط، أى ٠,٨٪ من إجمالى عدد السكان، كما هبط أعضاء الكنيسة الميثودية المتحدة من ١١ مليون نسمة فى عام ١٩٦٥م إلى ٨,٢ ملايين نسمة فى عام ٢٠٠٥م. وفى الفترة الزمنية نفسها هبط عدد أعضاء الكنيسة المشيخية فى الولايات المتحدة من ٣,٢ ملايين نسمة إلى ٢,٤ . أما فى كنيسة المسيح المتحدة.. فقد وصل الهبوط إلى ٥٠٪ تقريبًا.

أثناء ذلك، وبرغم ظهور مؤشرات دالة على بطء النمو بعد عام ٢٠٠١م، فقد ضم «مؤتمر المعمدانية الجنوبية» ما يزيد على سبعة ملايين عضو، ليصبح بذلك أكبر طائفة بروتستانتية فى البلاد. وفيما بين عامى ١٩٦٠ و ٢٠٠٣م.. قام المعمدانيون الجنوبيون بضم أعضاء إليهم يزيدون كثيراً على ما فقده الميثوديون والمشيخيون والأسقفيون وأعضاء كنيسة المسيح المتحدة مجتمعين. وفى عام ١٩٦٠م كان هناك ميثوديون أكثر من المعمدانيين الجنوبيين بحوالى ٢ مليون، لكن بمجىء عام ٢٠٠٣م، زاد عدد المعمدانيين على الميثوديين والمشيخيين والأسقفيين وأعضاء كنيسة المسيح المتحدة مجتمعين.

كان تأثير هذه الاتجاهات على السياسة القومية بالغ الوضوح، فقد زود الإيڤانجليكيون جورج بوش بنسبة ٤٠٪ من إجمالى الأصوات فى الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٠٤م. وقد حصل جورج بوش على ٦٨٪ من أصوات الإيڤانجليكيين البيض فى انتخابات عام ٢٠٠٠ م، وارتفعت النسبة إلى ٧٨٪ فى انتخابات عام ٢٠٠٤م.

(ذهبت أغلبية أصوات الإيڤانجليكيين من الأفارقة الأمريكيين إلى الديمقراطيين. ولدى الأمريكيين ذوى الأصول الإسپانية، كان وضع چورچ بوش أقوى فى الأقلية البروتستانتية المتنامية بينهم أكثر من الكاثوليك. ومع ذلك، أيد بوش البروتستانت والكاثوليك الملتزمون دينيًا).

لعب الإيڤانجليكيون دورًا رئيسيًا فى انتخابات الكونجرس، ومجلس الشيوخ معًا. وقد زاد عدد المعرّفين ذاتيًا من الإيڤانجليكيين داخل المجلسين من ١٠٪ من الأعضاء فى عام ١٩٧٠م إلى ٢٥٪ فى عام ٢٠٠٤م.

ظل نفوذ الأصوليين أقل برغم الزيادة فى أعدادهم وفى فعاليتهم السياسية. ربما كان السبب وراء هذا أن «التفاؤلية» المنتشرة فى الولايات المتحدة استمرت فى تحجيم لاهوت الكالڤينية المغالية وجاذبيته. كما ظلت السياسة الدينية فى الولايات المتحدة لعبة تحالفات، ظل فيها لاهوت الأصوليين - الذى استمر فى رؤيته للكاثوليكية باعتبارها عبادة شريرة - ضعيف السلاح. ومما جعل الأمور أكثر تعقيدًا، التمزق الذى أصاب الأصوليين بين موقفين سياسيين متناقضين: الانسحاب الغاضب من عالم ملعون.. أو.. محاولة طموحة لبناء كومنولث پيوريتانى جديد.

وفى النهاية، يبقى كثير من الإيڤانجليكيين مناوئين للاتجاهات الأصولية؛ فقد قال فرانك پيچ الرئيس الجديد لتجمع المعمدانيين الجنوبيين بعد انتخابه فى يونيه ٢٠٠٦م:

«أنا أؤمن بكلمة الرب.. لكنى لست مجنونًا بها»